على الله تعالى او بالصوم الذي هو صبر عن المفطرات لما فيه من كسر الشهوة وتصفية النفس والتوسل بالصلوة والالتجاء
اليها فانها جامعة لانواع العبادات النفسانية والبدنية من الطهارة وستر العورة وصرف المال فيهما
والتوجه الى الكعبة والعكوف للعبادة واظهار الخشوع بالجوارح واخلاص النية بالقلب ومجاهدة الشيطان
ومناجاة الحق وقراءة القرآن والتكلم بالشهادتين وكف النفس عن الاطيبين حتى تجابوا الى تحصيل المآرب
وجبر المصائب روى انه عليه السلام اذا حزبه امر فزع الى الصلوة ويجوز ان يراد بها الدعاء وانها
اى الاستعانة بهما او الصلوة وتخصيصها برد الضمير اليها لعظم شانها واستجماعها ضروبا من الصبر او جملة ما امروا
بها ونهوا عنها لكبيرة لثقيلة شاقة كقوله كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الا على الخاشعين اى المخبتين
والخشوع الاخبات ومنه الخشعة للرملة المتطامنة والخضوع اللين والانقياد ولذلك يقال الخشوع بالجوارح
والخضوع بالقلب الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون اى يتوقعون لقاء
الله تعالى ونيل ما عنده او يتيقنون انهم يحشرون الى الله تعالى فيجازيهم ويؤيده ان في مصحف ابن مسعود رضي الله عنه
يعلمون وكان الظن لما شابه العلم في الرجحان اطلق عليه لتضمين معنى التوقع قال اوس بن حجر فارسلته مستيقن
الظن انه مخالط ما بين الشراسيف جائف وانما لم تثقل عليهم ثقلها على غيرهم فان نفوسهم مرتاضة
بامثالها متوقعة في مقابلتها ما يستحقر لاجله مشاقها ويستلذ بسببه متاعبها ومن ثم قال عليه السلام
وجعلت قرة عيني في الصلوة يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم كرره للتوكيد وتذكيرا
للتفضيل الذي هو اجل النعم خصوصا وربطه بالوعيد الشديد تخويفا لمن غفل عنها واخل بحقوقها واني
فضلتكم عطف على نعمتي على العالمين اى عالمي زمانهم يريد به تفضيل ابائهم الذين كانوا في عصر موسى
عليه السلام وبعده قبل ان يغيروا بما منحهم من العلم والايمان والعمل الصالح وجعلهم انبياء وملوكا
مقسطين واستدل به على تفضيل البشر على الملائكة وهو ضعيف واتقوا يوما اى ما فيه من الحساب والعذاب
لا تجزي نفس عن نفس شيئا لا تقضي عنها شيئا من الحقوق او شيئا من الجزاء فيكون نصبه على المصدر وقرئ
لا تجزئ من اجزأ عنه اذا اغنى وعلى هذا تعين ان يكون شيئا مصدرا وايراده منكرا مع تنكير النفسين
للتعميم والاقناط الكلي والجملة صفة ليوما والعائد فيها محذوف تقديره لا تجزي فيه ومن لم يجوز حذف
العائد المجرور قال اتسع فيه فحذف عنه الجار واجري مجرى المفعول به ثم حذف كما حذف من قوله ام مال اصابوا
ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل اى من النفس الثانية العاصية او من الاولى وكانه
اريد بالآية نفي ان يدفع العذاب احد عن احد من كل وجه محتمل فانه اما ان يكون قهرا او غيره والاول النصرة
والثاني اما ان يكون مجانا او غيره والاول ان تشفع له والثاني اما باداء ما كان عليه وهو ان يجزي عنه او بغيره
وهو ان يعطي عنه بدلا والشفاعة من الشفع كان المشفوع له كان فردا فجعله الشفيع شفعا بضم نفسه اليه والعدل
الفدية وقيل البدل واصله التسوية سمي به الفدية لانها سويت بالمفدى ولا هم ينصرون يمنعون من عذاب

الله تعالى

الله تعالى والضمير لما دلت عليه النفس الثانية المنكرة الواقعة في سياق النفي من النفوس الكثيرة وتذكيره بمعنى
العباد والاناسي والنصرة اخص من المعونة لاختصاصه بدفع الضر وقد تمسكت المعتزلة بهذه الآية على نفي
الشفاعة لاهل الكبائر واجيب بانها مخصوصة بالكفار للآيات والاحاديث الواردة في الشفاعة ويؤيده
ان الخطاب معهم والآية نزلت ردا لما كانت اليهود تزعم ان اباءهم تشفع لهم واذ نجيناكم من ال
فرعون تفصيل لما اجمله في قوله اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم وعطف على نعمتي عطف جبرائيل وميكائيل على الملائكة
وقرئ انجيتكم واصل ال اهل لان تصغيره اهيل وخص بالاضافة الى اولي الخطر كالانبياء والملوك وفرعون
لقب لمن ملك العمالقة ككسرى وقيصر لملكي الفرس والروم ولعتوهم اشتق منه تفرعن الرجل اذا عتا وكان
فرعون موسى مصعب بن ريان وقيل ابنه وليد من بقايا عاد وفرعون يوسف ريان وكان بينهما اكثر من
اربعمائة سنة يسومونكم سوء العذاب يبغونكم من سامه خسفا اذا اولاه ظلما واصل السوم
الذهاب في طلب الشيء سوء العذاب افظعه فانه قبيح بالاضافة الى سائره والسوء مصدر ساء يسوء
ونصبه على المفعول ليسومونكم والجملة حال من الضمير في نجيناكم او من ال فرعون او منهما جميعا لان فيها ضمير
كل واحد منهما يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم بيان ليسومونكم ولذلك لم يعطف وقرئ
يذبحون بالتخفيف وانما فعلوا بهم ذلك لان فرعون راى في المنام او قال له الكهنة سيولد منهم من يذهب
بملكه فلم يرد اجتهادهم من قدر الله تعالى شيئا وفي ذلكم بلاء ان اشير بذلكم الى صنيعهم ونقمة وان اشير
الى الانجاء واصله الاختبار لكن لما كان اختبار الله تعالى عباده تارة بالمحنة وتارة بالمنحة اطلق عليهما
ويجوز ان يشار بذلكم الى الجملة ويراد به الامتحان الشائع بينهما من ربكم بتسليطهم عليكم او ببعث
موسى عليه السلام وتوفيقه لتخليصكم او بهما عظيم صفة بلاء وفي الآية تنبيه على ان ما يصيب العبد من خير او شر
اختبار من الله تعالى فعليه ان يشكر على مساره ويصبر على مضاره ليكون من خير المختبرين واذ فرقنا بكم البحر
فلقناه وفصلنا بين بعضه وبعض حتى حصلت فيه مسالك بسلوككم فيه او بسبب انجائكم او
ملتبسا بكم كقوله تدوس بنا الجماجم والتريبا وقرئ فرقنا على بناء التكثير لان المسالك كانت اثني عشر بعدد
الاسباط فانجيناكم واغرقنا ال فرعون اراد به فرعون وقومه واقتصر على ذكرهم للعلم بانه كان
اولى به وقيل شخصه كما روى ان الحسن رضي كان يقول اللهم صل على ال محمد اى شخصه واستغنى بذكره عن ذكر
اتباعه وانتم تنظرون ذلك او غرقهم واطباق البحر عليهم او انفلاق البحر عن طرق يابسة مذللة
او جثثهم قذفها البحر الى الساحل او ينظر بعضكم بعضا روى انه تعالى امر موسى عليه السلام ان يسري ببني
اسرائيل فخرج بهم فصبحهم فرعون وجنوده وصادفوهم على شاطئ البحر فاوحى الله اليه ان اضرب بعصاك
البحر فضربه فظهرت فيه اثنا عشر طريقا يابسا فسلكوها فقالوا يا موسى نخاف ان يغرق بعضنا فلا نعلم
ففتح الله فيها كوى فتراءوا وتسامعوا حتى عبروا البحر ثم وصل اليه فرعون وراه منفلقا فاقتحم فيه